المرأة واللغة:

قراءة سوسيو-أنثروبولوجية لطالبات الأحياء الجامعية للبنات

Women and language:

A socio-anthropological reading for female university biology students

د.بتقة أمينة*[1]

1 جامعة وهران 2 (الجزائر)، aminabettk8@gmail.com

betteka.amina@univ-oran2.dz

تاريخ الاستلام: 2023/03/08 تاريخ القبول: 2024/01/26 تاريخ النشر: 2024/01/30

ملخص:

تهدف دراستنا إلى معرفة واقع الجنسانية النسائية اللغوية قبل الزواجية، وذلك من خلال اشتغالنا حول الجنس الأنثوي بوصفه قيمة ثقافية يعبر عنه لغويا، وكشريحة اجتماعية ينحصر دورها في نظر الحس الجمعي في كل ما هو جنساني في معناه الحر.

من بين النتائج المتوصل إليها وجود تنوع فيما يخص النماذج الثقافية بالأحياء الجامعية للبنات بتنوع المناطق التي جاءت منها الطالبات، وعليه يساعد الحي الجامعي للبنات في تشكل العديد من النماذج اللغوية. بالإضافة إلى مساهمة العوامل الاجتماعية في إعادة تشكيل الهوية الأنثوية والتي تحصرها في التهميش والدونية والاقصاء من الفضاء الخارجي في بعض الأحيان.

كلمات مفتاحية: الجنوسة، الجنسانية، التجربة الطلابية، الحي الجامعي، الجسد.

Abstract:

Our study aims to know the reality of female linguistic sexuality before marriage, through our work on the female gender as a cultural value expressed linguistically, and as a social segment whose role is confined to the view of the collective sense in all that is sexual in its free meaning.

Among the results reached, there is a diversity in terms of cultural models in the university neighborhoods for girls with the diversity of the regions from which the students came, and accordingly the university district for girls helps in the formation of many

* المؤلف المرسل: بتقة أمينة

linguistic models. In addition to the contribution of social factors in reshaping the female identity, which confines it to marginalization, inferiority, and exclusion from outer space at times.

Keywords: gender, sexuality, student experience, university district, the body.

1. مقدمة:

يعد الحي الجامعي فضاء لممارسات شبانية بامتياز وذو طابع تحرري، كتلبية الرغبات وجميع المتع الحسية وفضاء للانصهار والاندماج داخل الحواضر والمدن الكبرى، ' بل إن الأحياء الجامعية هي محاضن مهمة تختمر فيها تجارب وخبر شبانية خالصة يتعلم فيها الطالب طرائق التكيف والتأقلم ' (مختار، 2013، صفحة 65)، فمن الأحياء الجامعية اشتغلنا على شريحة (الطالبات الداخليات) مركزين في ذلك على أكثر وأهم المواضيع التي تتفاعل بها هذه الشريحة الشابة، والتي تتمثل في لغة الخطابات السائدة بين البنات وفي النظرة الدونية من قبل أصحاب المدن لهذه الفئة ويعبر عنها غالبا في شكل أساليب لغوية.

وعليه " تقع بعض الصيغ اللغوية في حال من السجن الثقافي " (الغذامي، بلا تاريخ) حيث ينقسم هذا السجن الثقافي إلى قسمين هما:

الأول متعلق بصيغ ذكورية متسلطة والثاني يتمثل في صيغ أنثوية خاضعة، بهذا المعنى يصبح الاختلاف التفاضلي بين الجنسين لا يقتصر على جملة الممارسات اليومية فقط، بل قد يتعدى ذلك ليصل إلى الخطابات السائدة، ففي العديد من مواقف الحياة اليومية نلاحظ وجود نوع من السمو الذكوري والهيمنة على المرأة بشكل عام، سواء كانت متعلمة أم لا، فمن بروز ذكورية الرجل المهيمنة على أنثوية المرأة في الخطابات السائدة، كيف يمكن لهذا النوع من الهيمنة الذكورية أن تظهر على مستوى لغتنا في الحياة اليومية؟

إن اهتمامنا بالأحياء الجامعية للبنات كان من خلال اعتبارها فضاءات اجتماعية تتفاعل داخلها مختلف القيم والتصورات المستمدة من المجتمع ككل، وباعتبار الحي الجامعي فضاء اجتماعي يعمل على " المعاشرة وممارسة النشاطات الرياضية والثقافية داخله " (felonneau, 1994, p. 541) وإخضاع الطالبات على العيش في مكان واحد وتحت نفس الظروف الاجتماعية.

لم يكن بحثنا نظريا صرفا، بل مزجنا بين الاشتغال على الجانب الامبريقي والتحليل العلمي من الزاوية السوسيو-أنثروبولوجية، حيث اعتمدنا على المنهج الأنثروبولوجي بتقنيتيه الأساسيتين: المقابلة نصف الموجهة والملاحظة التي تمت من خلال تركيزنا على المشاهد الحية المقتطفة من ميدان الدراسة (الحي الجامعي)، وإعادة قراءتنا للمعطيات الميدانية وعرضها في شكل عنصرين بحثيين وهما:

العنصر الأول تمثل في الجسد الأنثوي بوصفه قيمة ثقافية، أما العنصر الثاني كان بعنوان الطالبات الداخليات واللغة الناشئة بموجب التواجد الحضري.

لكن قبل أن نشرع في تحليل ما جاء به موضوعنا، لاحظنا تشابك مجموعة من المفاهيم الأساسية على المستوى المنهجي، حيث أن تعاملنا مع الآليات المفاهيمية لم يكن نظريا مقتبسا من عند المؤلفين السابقين فقط، بل استندنا في طرحنا للمفاهيم إلى ما عشناه في تجربتنا الميدانية وإلى ما يتلاءم مع موضوعنا وأهم هذه المفاهيم ما يلي:

2. تحديد المفاهيم:

1.2: مفهوم الجنوسة:

يتفق العديد من الباحثين على أن مفهوم الجنوسة يعبر عن التمثلات المصاحبة للأنثى، حتى تصبح امرأة، والتمثلات التي لابد على الذكر أن يتصف بها حتى يصبح رجلا،

فالباحثة نيرانجانا Niranjana ترى " بأن السياق الثقافي يطبع التجارب في مادة الجنس بأشكال لا تحصى "، (حوسو، 2008، صفحة 87) كذلك ترى جوديث بتلرJudith Butler " أن تكون رجلا أو أن تكون امرأة يتمثل في تحقيق خصائص ذكورية أو أنثوية، فمجموع الأفعال التي ينجزها الفرد، والتي يفترض أن تعبر عن هويته الجنسية ليست إلا اختلافات مصنعة ومصانة بفضل علامات جسدية. "(ميشيلا، 2011، صفحة 103)

في نفس السياق تؤكد سيمون دي بوفوارSimone de Beauvoir أننا لا نولد نساء أو رجالا وإنما نصبح كذلك. تتنوع الأفكار ووجهات النظر بين الباحثين أو المفكرين حول مفهومي الذكورة والأنوثة، حيث يمكن اعتبارهما صناعة ثقافية، ندرك معناها من خلال العلاقات التفاعلية للفرد داخل مؤسسات التنشئة الاجتماعية.

تجدر الإشارة إلى أن مجمل الملاحظات التي سجلناها في ميدان دراستنا، لاحظنا بأن جل الطالبات الداخليات تتغير سلوكاتهن وتصوراتهن حول كل ما هو محيط بهن في المرحلة الجامعية، فعملية اهتمام الطالبات بأجسادهن مثلا يصبح مبالغا فيه في بعض الأحيان، على أساس أن الجامعة هي الفضاء الأكثر حرية، الذي بإمكان البنت أن تمارس فيها أنوثتها.

هذا ما يبرر لنا بأن الأنوثة والذكورة هي صناعة ثقافية، " ووسيلة تبرير وشرعنة للانقسام الأكثر عمقا في المجتمع الإنساني "، (بيضون، 2002، صفحة 32) ولو قارنا بين تعبير البنت عن أنوثتها في وسطها الأسري، وفي الجامعة، يمكن ملاحظة أن البنت تزداد اهتماما بأنوثتها كلما كانت بعيدة عن رقابة الأهل، وقريبة من مثيلاتها، فعلى حد قول إحدى الزميلات أن والدتها، دائما ما تنصحها بأنها عندما تأتي من الجامعة ترتدي لباس قديم، حتى لا تلفت نظر الآخرين إليها، كما أن العبارة المتكررة بين البنات في الأحياء الجامعية من قبل أمهاتهن، وهي (حطي على روحك)، المقصود من وراء هذا المعنى هو أن لا تجذب الفتاة نظر الآخرين.

يمكن الاستنتاج من خلال جملة الملاحظات التي قمنا بتسجيلها، أنه رغم ارتفاع القناعات الشخصية التي قدمتها الأسرة للبنت، إلا أن أنوثة البنت في الوسط الأسري لا تزال محصورة في الحشمة أو العفة والحياء فقط، فالبنت التي تجمل ذاتها في الفضاء العام، والتي تدخل في نقاشات مع الأفراد، وتدافع عن نفسها، وتسعى وراء تحقيق طموحاتها.. الخ، لا يحبذها المجتمع، بالرغم من أن هذه القيم أو المعايير إذا توفرت في الأنثى تجعلها امرأة على قدر عالي من تحقيق تواجدها، فالمجتمع لا يتقبل تفوق ونجاح النساء على الرجال، حتى وإن قدم لهن فرصة للظهور وتعزيز الذات الأنثوية.

بهذا المعنى ندرك بأن سيرورة الذكورة والأنوثة، تختلف حسب درجة تطور المجتمع، وأن الجنوسة ليس لها قوانين ثابتة ويقين يضبطها؛ فهي " ليس ما يتم فعله بنا فحسب، بل إن الجنوسة ما نصنعه نحن بأنفسنا، وذلك لأننا نقوم على الدوام بخلق وإعادة خلق هوياتنا الجندرية في سياق تفاعلاتنا مع الآخرين وفي إطار المؤسسات الاجتماعية التي تضمنا. " (بيضون، 2007، صفحة 13)

2.2: مفهوم الجنسانية:

ننتقل من مفهوم الجنوسة إلى مفهوم الجنسانية، وذلك حتى تتضح للقارئ تلك الفروقات الموجودة بين المفهومين، فالجنسانية هي أمر مراقب ومحظور خاصة داخل الوسط الأسري، لكنه أمر تنشأ حوله الحوارات والنقاشات في ظل وجود فضاء مناسب لطرحها. بالرجوع إلى موضوع بحثنا المحصور في الأحياء الجامعية للبنات، نلاحظ أن هذه الأخيرة تعتبر بمثابة فضاءات اجتماعية و ' تجمعات لصناعة الخطاب الجنساني ' في الغالب، وهو الوسط الذي يتيح الفرصة للممارسات الجنسية، والرغبة في الظهور والإعلان عن عدد لا يحصى من المكبوتات غير المصرح عنها في فضاءات اجتماعية أخرى.

إذن الحي الجامعي هو فضاء يعلنْ فيه عن ' وضع الجنس في خطاب '، هذا ما يوحي إلى بروز الجنسانية من خلال أرشيف الاعتراف، والذي يعتبر مادة خصبة يتم بموجبها تحويل الرغبة والأحاسيس الجنسية على وجه التحديد، إما في شكل خطابي معلن عنه داخل جماعة الانتماء (جماعة الرفاق داخل الحي الجامعي)، وإما في شكل ممارساتي.

إن الخطاب الجنساني داخل الأحياء الجامعية للبنات، هو تعبير عن أشكال لجنسانيات متعددة؛ فموقف الخطاب أو الممارسة الجنسانية للطالبة داخل الحي يتجسد في صورة عوامل ومكونات متعددة، قد تسعى الطالبات إلى إيجاد صيغ للمواءمة ما بين السلوك الجنساني ' الحر ' من جهة، والتملص مما تفرضه المنظومة الأخلاقية أو الدينية على سلوك الأفراد وتوجهاتهم من جهة أخرى.

وعليه تجتمع جميع هذه السلوكات والتمثلات في الأخير تحت إطار الممارسة الجنسانية، والتي قد لا يمكن التمييز فيها ما بين الطالبة التي تخضع للمعايير والقيم الأخلاقية أو الدينية، وبين الطالبة التي تجعل من الجنس بحد ذاته موضوع خطاب معلن، قد تقتضي المفارقة بينهما في أن لكل منهما أساليب خاصة في التعبير عن الجنس.

يمكن القول في هذا السياق بحسب دافيد لو بروتون " أن الخاصيات البيولوجية للإنسان ما هي إلا حقه النزيه في موقعه ضمن المجموعة "، (لوبروتون، 1997، صفحة 33) إن الجنسانية بهذا المعنى " تعد غير اجتماعية من حيث الأساس، لكن هذا لا يعني أنها معادية للمجتمع، ومن ثمة لا يجب أن ننظر إليها على غرار الأنظمة الأخلاقية أو الدينية على أنها سلبية، فعندما نقول أن الجنسانية غير اجتماعية، فذلك لكي نشير إلى قدرتها على توحيد الأفراد والجماعات الاجتماعية في ظل شروط معينة، وتقسيمهم في ظل شروط أخرى، هذا ما يجعل ممارسة الجنسانية تخضع في كل المجتمعات لإعادة إنتاج علاقات اجتماعية ليس لها علاقة بها. " (شهبار، 2018، صفحة 108)

3.2: التجربة الطلابية:

عندما نتكلم عن ' الطالبة الداخلية '، نجد أنفسنا أمام فاعلات في المجتمع لهن تجارب متعددة في هذه المرحلة العمرية، فالبنت التي تدرس بعيدا عن بيت أهلها هي في مواجهة تجارب وخبرات متعددة، أهمها ما يتعلق بالخبرات المجالية وكيفية الانخراط داخل الفضاء الجامعي الجديد، هذا ما يتم من خلال " وجود الاستعدادات العقلية و الميولات التي تحدد وفق البيئة أو المحيط " (منيغد، 2015، صفحة 137) بمعنى أن الفضاء الذي تجد الطالبة نفسها داخله.

إن دينامية التجارب التي تعيشها الطالبة بين الفضاء العائلي، والسكن الإقامي، يتيح المجال أمامها حتى يكون بمقدورها إحداث مسافة بين القيم العائلية المسموح لها بها، وبين ما يعتبر خروج عن رقابتها العائلية، هذا ما يجعلها تعمل على المزاوجة بين نمطين من العيش.

وعليه تعكس التجربة الطلابية للبنت الداخلية اكتسابها نماذج ثقافية متنوعة، تنوع ثقافات الطالبات اللواتي تعشن معها داخل الحي الجامعي، هذا ما لاحظناه في وجود الطالبة النقابية، والطالبة الممارسة للنشاطات الرياضية، وأخرى مهتمة بتنظيم الحلقات والمحاضرات الدينية، إلى غير ذلك من النماذج المتعددة، كل هذه الأشكال والبراديغمات الثقافية تتلاقى في الأخير على أرض الحي الجامعي لترسم لنا تجارب متعددة.

4.2: الحي الجامعي:

إن مفهوم الحي الجامعي كظاهرة حضرية ذات دلالة رمزية، يظهر أكثر في المعنى الذي يضفيه الطلبة في بداية الموسم الدراسي، أي أثناء توافدهم للأحياء الجامعية أفواجا، وفي وجود عدد كبير من السيارات كل مساء بجانب الأحياء الجامعية للبنات، هذا ما يجعلنا

نصنف الأحياء الجامعية المتواجدة بالمدن على أنها تشكل مركزية حضرية، ناتجة عن حراك الطلبة.

يعد استعمالنا لمصطلح المركزية الحضرية centralité urbaine، بمثابة إسقاط على مفهوم الحي الجامعي، واعتبار هذا الأخير من بين المجالات المركزية des espaces de centralité، فمن الصعب تناول ظاهرة الأحياء الجامعية دون التطرق إلى مفهوم المركزية الحضرية، وهذا تبعا لقول جون ريمي Jean Rémy، وليليان فويي Liliane Voyé بأن " الأماكن الحضرية لا يمكن حصرها فقط في أماكن التسوق والنشاطات الاقتصادية ذات الكثافة العالية، فليس هناك فرق بين المركز الحضري، والأطراف بما أن هذه الأخيرة يمكن أن نجد فيها نشاطات اقتصادية ومراكز تسوق. " (jean rémy, 1981, p. 194)

5.2: الجسد:

يعتبر الجسد سوسيولوجيا " علامة داخل نسق رمزي معين يعلن عن انتماء أو وضع أو نموذج اجتماعي، مسلطة الأضواء على أبعاد معينة من الجسد تبرز انبهاره بالتنظيم الاجتماعي وخضوعه للإيديولوجيا المهيمنة الهادفة إلى الإنتاج وإعادة الإنتاج. " (السباعي، 2011، صفحة 29)

وعليه إعلانه عن انتماء إلى نموذج اجتماعي لا يستبعد في داخله البحث عن التمثلات الاجتماعية، حسب ما أشار إليه دافيد لو بروتون بقوله:

" الجسد بناء اجتماعي وليس حقيقة في ذاتها واختلاف التصورات الاجتماعية يعني البحث عن المعنى الحقيقي للجسد الاجتماعي، فهو نتيجة بناء اجتماعي وثقافي. "(لوبروتون، 1997، صفحة 12) لهذا السبب تم الاهتمام به في مجال العلوم الاجتماعية ومن أوجه نظر مختلفة، هذا ما أدى إلى حدوث اختلاف حاد حوله في أواخر القرن العشرين " بوصفه بؤرة

لعلاقات القوة، مثلا انخرطت النسويات الغربيات فيما يسمى بسياسات الجسد، فأثرن حملات من أجل حقوق الإجهاض ومنع الحمل، والإباحية الصريحة والقضايا الأخرى التي تتعلق بالسيطرة على أجساد النساء وتمثيلها." (بينيت، 2010، صفحة 243، 244)

أين تم بزوغ الحركة النسوية ومطالبتها بالتحرر الجسدي للمرأة من الإنجاب، وخروجها للعمل وحق تعليم المرأة أي المساواة في الحقوق مع الرجال، هذا ما زاد من قوة الاهتمام بالجسد خاصة جسد المرأة الذي شكل عند البعض بؤرة توتر. في الميدان السياسي اعتبر ميشال فوكو أن الجسد ينخرط في هذا المجال " فعلاقات السلطة تتحكم مباشرة به: لأنها تستثمره، وتسمه، وتدربه، وتعذبه، وتكرهه على القيام بالوظائف وأداء الاحتفالات وإطلاق العلامات. " (بينيت، 2010، صفحة 243، 244)

وعليه صار الجسد من المواضيع الأكثر اهتماما به من قبل السوسيولوجيين الذين يربطون هذه الظاهرة بميادين مختلفة، فمنهم من رآه ظاهرة سياسية بالدرجة الأولى، ومنهم من زاوج بينه وبين مفهوم التمثلات الاجتماعية، بمعنى لا وجود للجسد إلا داخل ما هو اجتماعي.

3.الجسد الأنثوي بوصفه قيمة ثقافية:

إن الكلام حول الجسد الأنثوي له خصوصية لا نستطيع أن نكشف عنها، إلا من خلال العلاقات المكثفة بعين المكان، نتكلم هنا عن نوع من أساليب التفاعل اليومي للطالبات الداخليات مع الوسط الجامعي ككل، والمتمثل في اللغة السائدة سواء بين الطالبات أو فيما يتعلق بالنعوت التي تطلق عليهن، فمن بين المشاهد الحية التي تبرر لنا بأن لغتنا تندرج غالبا تحت المنظور الجنوسي، خاصة إذا تعلق الأمر ما يلي: ' مينيونة mignonne، كيوت، الدلاعة، البقلاوة، الحوتة.'

تتنوع مدلولات الكلمات السابقة التي توصف بها المرأة على وجه العموم، والطالبات المقيمات بالأحياء الجامعية للبنات على وجه الخصوص، حيث أن كلمة: ' مينيونة mignonne، وكيوت، والبقلاوة ' تطلق على البنت التي تكون جميلة، بهذا المعنى ندرك بأن صورة المرأة في نظر الحس الجمعي لا تزال ترتبط بقيمة الجمال، فرغم التحولات الحاصلة على حياة المرأة من تعليم، وعمل خارج المنزل، إلا أن النظرة لها ما زالت حبيسة رؤية تقليدية تحصر دورها في الوظائف البيولوجية فقط.

لا تتوقف عملية العناية الجمالية بالجسد الأنثوي على تمسرحات وتمظهرات la théâtralisations du corps خاصة بالجسد وبتصورات البنت لذاتها فقط، بل ما تعبر عنه الطالبة الداخلية من خلال ممارساتها الجسدية ذات الطابع الجمالي غالبا، ما هو إلا تعبير عن شكل من أشكال الخضوع والتبعية بحثتا عن قبولها في المجتمع. " فبعد أن سيطر الرجل على كل الامكانات اللغوية وقرر ما هو حقيقي وما هو مجازي في الخطاب التعبيري، لم تكن المرأة في هذا التكوين سوى مجاز رمزي أو مخيال ذهني يكتبه الرجل وينسجه حسب دواعيه البيانية والحياتية." (الغذامي، المرأة واللغة ، 1996، صفحة 7)

ففي هذا السبيل " شكلت ألسنية فرديناند دو سوسير Ferdinand de Saussure تصور اللغة بمثابة شيء منفصل ومستقل عن البشر، وهي نتاج المجتمع الذي يفرض على الناس بمقدار ما يسمح لهم بالتعبير. " (ميغري، 2018، صفحة 220) وعليه " يتحكم القانون من الميلاد إلى الوفاة في الأجساد ليجعل منها نصوصا، فهو يحولها بأي نوع كان من الانخراط (شعائري، مدرسي، الخ.) إلى ألواح قانونية أو إلى لوحات حية من القواعد والأعراف أو إلى فاعلين في مسرح ينظمه النظام الاجتماعي. " (دوسارتو، 2011، صفحة 252) هذا إلى جانب مصطلحي ' الدلاعة ' و ' الحوتة '، فالأولى يقصد بها بكارة الأنثى قبل الفض، والثانية تعبر عن الجهاز التناسلي الأنثوي، أما عندما تقول الطالبة: ' درت حوتة '، هذا يشير

إلى أنها مارست علاقة جنسية rapport de sexe كاملة، يحيل هاذين المصطلحين السابقين إلى الممارسات التي نلحقها بالجسد الأنثوي.

إن المعنى الدلالي للغتنا اليومية قائم على أساس " الهوية الجندرية التي خلقت الوضع المتدني للمرأة. " (حوسو، 2008، صفحة 54) " فلم ينظر إلى المرأة نظرة مساواة وأنها إنسان سوي مثل الرجل، بل كانت الدونية تلاحقها وبنيت المجتمعات على أساس اقصائها من الحياة (...) ولإثبات ما يمكن تسميته بالتحيز للذكر يمكن ملاحظته " (الكردستاني، 2004، صفحة 185) في العديد من المصطلحات والعبارات السابق ذكرها.

" إذا ما تساءل أحدهم بأي وجه ترتبط نظرية لسانية في الفعل الكلامي بحركات الجسد، فهو لا يحتاج سوى لأن يضع في الحسبان أن الكلام ذاته هو فعل جسدي مصحوب بتبعات ألسنية، وهكذا فإن الكلام لا ينتمي حصريا إلى التقديم الجسدي ولا إلى اللغة وأن منزلته بما هو قول وعمل. " (بتلر، صفحة 21)

من الكلمات السابقة الذكر التي تلحق بالأنثى وتحديدا ببنات الأحياء الجامعية ندرك بأن الرمزيات الاجتماعية لصورة المرأة غالبا ما يعبر عنها في اللغة السائدة على أساس أنها " واقع جنساني اجتماعي فالتداولية والألسنية الاجتماعية، أي خصائص اللغة التي يحكي بها النوع الاجتماعي وما تقوله من موقع وسلطة ومعاش وعلاقة أو تبعية مع الجنس الآخر. " (منصور، 2020) هي ترجمة لصورة المرأة في مجتمعنا.

تماشيا في نفس المسار من أهم العبارات والمصطلحات الدالة أيضا على بروز جنسانية لغوية في أحاديث الطالبات الداخليات ما يلي: ' الخميس ليلة بليس ': يعني السهر في الملاهي الليلية حتى طلوع الصباح.

مصطلح ' مقرقراته ': تطلق على الرجل الذي يتم سحره من طرف البنت، كذلك مصطلح ' الفشلوق ': يطلق هذا اللفظ على ممارسة العلاقة الجنسية بين (الذكر/ والأنثى)، مصطلح ' الصغار ': تطلق على الرجال، ' رعاين ': تطلق هذه اللفظة على الرجال بصفة عامة من قبل الطالبات، ' تيك تيك ': تطلق على العلاقة الجنسية '، ' مواعين العرس ': تطلق على الجهاز الأنثوي والذكوري. '

توحي هذه المصطلحات والعبارات إلى أن قاموس الجنسانية أصبح متنوع ومتعدد الأساليب التعبيرية، أي نموذج العلاقات الجنسانية أصبح ذو طابع حر (العلاقات الحرة*) " فالواقع أن اللغة التي نصوغ من خلالها ثقافتنا وهويتنا هي التي تحدد موقفنا من أنفسنا ومن الآخر، ومن الوجود بشكل عام ومسبق. " (الحيدر، 2003، صفحة 285، 288) وعليه هل تتوقف الخطابات اللغوية السائدة بين الطالبات المقيمات بالأحياء الجامعية للبنات في الخطابات المتداولة بينهن، أم أن سكان المدن والحواضر التي تدرس بها الطالبات الداخليات لها هي الأخرى نظرة حول واقع الأحياء الجامعية للبنات، وفيما تتمثل إن وجدت؟

4. الطالبات الداخليات واللغة الناشئة بموجب التواجد الحضري:

تتجسد غالبا نظرة الأخر المعادي للمرأة وتحديدا لطالبات الأحياء الجامعية للبنات في الدونية، وفي التقليل من قيمة هذه الشريحة الاجتماعية، وذلك اعتبارا للعديد من العبارات الدالة على ذلك أهمها:

* **العلاقات الحرة:**(المفتوحة) وقد تشير أيضا إلى ' التعددية العلاقاتية ' نقصد بها في موضوعنا نوع من العلاقات التي تكون مبنية بين ذكر وأنثى من فئة الشباب دون أي التزام أو قيد، وفيها مجموعة متنوعة من الحياة الجنسية والإثارة ' كالجنس غير المشروط '، يتوقف هذا النوع من العلاقات على الاستمتاع باللحظة الحالية، واحترام الطرف الثاني في خياراته وقراراته، كما أنه لو تتبعنا عمق العلاقات الحرة نلاحظ بأنه يختفي فيها الخوف من الرقابة والضوابط الاجتماعية.

' المطلوقات، بنات la cité، صحاب الدوار، كابتك ولايتك، جماعة السطيبة**، ناس sud، الجماعة الخدامة على روحها***...الخ. '

توحي هذه العبارات على أن الفئات المهمشة في المجتمع لا تتوقف عند ذوي الإعاقات والعاهات، والأمهات العازبات، الخ، بل حتى الأقليات الاجتماعية قد تواجه نوع من الرفض داخل المدن والحواضر.

إن مواجهة الأقليات الاجتماعية لهذا النوع من الاقصاء والتهميش داخل المدن يقلل من فرص تواجدهم كون المجتمع يعمل على الأغلبية وليس على الأقلية، حيث هذه الأخيرة تقمع أو تقصى بسبب تناقضها مع ما هو شائع، فالجدل القائم بين المركزية التي يتمثلها سكان المدن الكبرى وبين الهامشية التي تتمثلها الأقليات داخل المدن ما هو إلا أسير نظرة سلبية وليدة اختلاف ثقافي غالبا، وبالتالي كيف يمكننا أن نفسر الواقع اليومي للفئات المهمشة اجتماعيا من خلال إعادة النظر في مكانة ' الطالبات الداخليات ' المتواجدة بالحواضر والمدن الكبرى؟

لقد ركزنا على النظرة الدونية المأخوذة حول ' الطالبات الداخليات ' انطلاقا من مجموعة من التصريحات أهمها تصريح المبحوثة نسرين بقولها:

' نظرة سكان المدينة للطالبات المقيمات بالأحياء الجامعية هي نظرة احتقار وكأننا كائنات فضائية، في إحدى المرات كنت مع صديقاتي في المدينة مر علينا أحد الشبان فقال:

** **جماعة السطيبة:** ينسب مصطلح السطيبة إلى stop باللغة الفرنسية، وتطلق على الفتيات اللواتي يقفن على حافة الطريق بقصد المتاجرة بأنفسهن.

*** **الجماعة الخدامة على روحها:** تشير هذه العبارة التي تطلق على طالبات الأحياء الجامعية على الفتيات اللواتي تتعمدن إلى التعامل مع الشباب بمقابل مادي.

أنتن تسكن بعيدا بالتأكيد لستن من مدينة وهران، فسكان المدن لديهم تلك النظرة بأننا نحن بنات الحي الجامعي ' مطلوقات ' و ' تع رسانا ' حتى ولو كنت ترتدي الجلباب لا تسلمي من كلام الناس خاصة في مدينة كبرى، ولكن في الحقيقة توجد فئة من اللقيطات ' طيحو علينا البق ' هذه الفئة هي التي جعلت نظرة العامة من الناس للبنات المقيمات بالأحياء الجامعية تنحصر في تلك النظرة الاحتقارية لنا. '

وتأتي المبحوثة ربيعة لتؤكد على صحة النظرة الهامشية ' للطالبات الداخليات ' انطلاقا من زملائها الطلبة في الجامعة بقولها: ' في كلية اللغة الفرنسية أين أدرس أغلب الطلبة الذين يدرسون معي هم من مدينة وهران فهم دائما يرون أنفسهم أحسن منا حتى أنهم يطلقون علينا مصطلح ' ناس sud ' أو مصطلح ' les interne '، فنحن في الجامعة مقسمين إلى صنفين من ينعتون بمصطلح ' les interne ' مع بعض حتى في وضعيات الجلوس أثناء الدراسة وفئة ' ولاد البلاد ' أو ' الحضر ' كما يسمون أنفسهم في جهة وحدهم، وحتى الأستاذة لا يتعاملون معنا بنفس الكيفية ف ' ولاد وهران ' هم من يحتلون المراتب الأولى في الامتحان أما باقي الطلبة فلا يهمهم إن تحصلوا على نتائج مرضية أم لا. '

" إن ايجاد نوع من الإحساس بالتعالي لدى الحضريين تمت ترجمته عبر مجموعة من التمثلات التي تهدف إلى التزام الحدود تجاه القرويين، وتبني الاحتياط في التعامل معهم كلما دعت الضرورة إلى ذلك، الأمر الذي جعل العلاقات بينهم مطبوعة بنوع من الحدة التي تكاد تصل إلى حدود القطيعة. "(السباعي، 2011، صفحة 14)

" فالطلبة المقيمون يعبرون على أنفسهم بصيغة ' نحن ' والسكان الحضريون في توصيفهم لطلبة الاقامات يعبرون عنهم بصيغة ' هؤلاء أو أولئك ' إننا إذن أمام لغة تنشأ بموجب التواجد الحضري، فتنتج حقلا خطابيا خاصا بها ينهض على الترابطات الموجودة في

ما بين الدوال والمعاني التي تصنع أساسا من ضجيج الشوارع والساحات العمومية وحركة الناس وتقسيمات المدينة. " (مختار، 2013، صفحة 5)

إضافة لما سبق من التصريحات تعبر المبحوثة أمال عن واقعها الأليم في نظرة سكان المدينة لهن بقولها: ' تشاجرت مع أحد الشبان في الشارع، حيث كان يلح بدرجة كبيرة حتى يأخذ رقم هاتفي لكني رفضت وقلت له أنا مرتبطة، في النهاية عندما علم أنني لا أعطيه رقمي قال لي: وهران لي لمتكم دخلتوها مثل الخرفان ثم لطختوها بفسقكم. '

وتأتي المبحوثة مريم هي الأخرى مصرحة: ' بالنسبة لحي الجامعي في تيسمسيلت كل الطالبات لهن نفس التصور للأشياء المحيطة بهن وذلك لأنهن بنات مدينة واحدة، لكن رغم أنهن بنات نفس المنطقة إلا أنهن يتنمرن على بعضهن فمثلا عندنا بنات ثنية الحد (دائرة في تيسمسيلت) عندما تتشاجرن مع بنات العيون (بلدية في تيسمسيلت)، تقول بنات العيون لأصحاب ثنية الحد 16.5 (بمعنى عاصميات ونصف)، في حين تطلق بنات ثنية الحد على بنات العيون 17.5 (يعني جلفاويات ونص)، كذلك بنات العيون تقول لبنات ثنية الحد أنتن عندما تذهبن تدرسن في الجزائر العاصمة عندما ينقطع التيار الكهربائي في الجزائر العاصمة، تقمن بإطفاء لضوء حتى يتسنى لأولاد الجزائر أنكن بنات المنطقة (يعني بنات الجزائر العاصمة). '

تتعدد التصريحات لكن المعنى يبقى واحد يتمثل في أن رغم مستوى التحضر الذي وصل إليه المجتمع خاصة في المدن والحواضر الكبرى، إلا أن النظرة للمرأة لا تزال تنحصر في الدونية والهامشية، فالجدل القائم بين المركزية والتي يمثلها سكان المدن الكبرى، وبين الهامشية والتي يمثلها سكان أطرف المدن Les bidonvilles فالمستقر في ' موانئ الدخول ' يبقى أسير نظرة سلبية وليدة اختلاف ثقافي.

مازالت المرأة في مجتمعنا لا تسلم من هيمنة الذكر عليها، فلو قارنا بين الذكور المقيمون بالأحياء الجامعية وبين البنات المقيمات لوجدنا أن الأنثى لا تسلم من تلك النظرة الاحتقارية مهما كانت أصيلة، في الوقت الذي لا نلاحظ فيه نفس النظرة للذكر المقيم بالحي الجامعي، فالمجتمع الذكوري كمجتمعنا مازالت فيه الأنثى محل استبعاد.

" إن تمسك بعض الرجال بذكورة دفاعية رافضة للأنوثة ومبخسة قدرها في الذات وفي الآخر يجعل هؤلاء غافلين عن تبدل واقع النساء فهم عاجزون إذا عن إعادة صياغة تصوراتهم البدائية تلك لتتلاءم مع الواقع المذكور، فيحتفظون بها درعا يقيمهم من أخطار الداخل (أنوثتهم)، والخارج (نهوض النساء). هؤلاء الرجال لا يملكون بنية معرفية مرنة بدرجة كافية تسمح لهم باستيعاب خطاب المرأة المعاصرة، وملائمة اتجاهاتهم مع ذلك الخطاب، فتصوراتهم واتجاهاتهم الجندرية محكومة بهواجسهم ومخاوفهم ورغباتهم الخاصة، أكثر مما هي مرتبطة بالمرأة في الواقع المعاصر. " (بيضون، 2007، صفحة 275)

إذا تكلمنا عن الجامعة والتحولات الجنوسية المعاصرة، فإن النظرة للطالبة الداخلية مازالت تضعها على الهامش، ' فالثقافة المهجنة ' لسكان المدن والحواضر الكبرى تجاه المرأة على وجه العموم والتي تحصرها في كل ما هو داخلي مستتر بعيد عن عالم الرجال هي وليدة النظام الأبوي القائم اليوم في مجتمعنا والذي ليس بنظام تقليدي بالمعنى التراثي، كما أنه ليس معاصرا بالمعنى الحداثوي، بل خليط غير متمازج من القديم والحديث.

وعليه " تهميش المرأة لم يكن في الحقيقة والواقع بسبب العامل البيولوجي أو الديني أو النفسي، وإنما بسبب العوامل الاجتماعية والطبقية والأعراف والقيم الذكورية التي تنتج عن مصالح الرجل في الهيمنة والاستحواذ بها واخضاعها لمشيئته، وهو أساس عدم المساواة بين الجنسين والصراع الأزلي بينهما. " (الحيدر، 2003 ، صفحة 13)

5.خاتمة:

من خلال قراءتنا السوسيو-أنثروبولوجية المتواضعة لمجموعة من الشواهد التجريبية التي لمسناها داخل الأحياء الجامعية للبنات كان بمقدورنا التوصل إلى مجموعة من النقاط في نهاية عملنا والتي تمثلت فيما يلي:

- إن التعابير اللغوية التي تستخدم ضد المرأة على وجه العموم، لها طابع جنساني غالبا وذلك لما توصف به المرأة في مجتمعنا على أنها هي التي تجلب العار، والعيب للعائلة، لهذا السبب يتم تذكيرها دائما بأنها قد تسبب المشاكل لأهلها في حالة خروجها عن القوانين الاجتماعية المتعارف عليها.

- يعتبر الحي الجامعي للبنات بمثابة الفضاء المناسب لبروز الأحاديث الساخنة ذات الطابع الجنساني بين البنات، خاصة وأن البنت مع بنات جنسها وسنها فقط.

- يعتبر الجسد الأنثوي من بين أولى المواطن التي تهتم بها الطالبة المقيمة بالحي الجامعي للبنات، وذلك بحثا عن الاندماج والانصهار داخل المجتمع المتواجدة فيه. إضافة إلى أن ما تراه الطالبة تجميل لذاتها يعتبر في نظر الحس الجمعي تقيد بأساليب الانخراط في جماعة الانتماء.

- تهدف اللغة السائدة بين الطالبات، أو بين الطالبات وسكان المدن والحواضر الكبرى على أنها بمثابة سبيل لتبليغ رسائل معينة لهذه الأخيرة حتى تسير وفق ضوابط المجتمع، وحتى تعي مكانتها الاجتماعية في نظر الأفراد.

وفي الأخير ما يرصد مسلسل التحولات التي تحدث بعمق المجتمع هي " الجامعة كحجر الزاوية الأساسي." (الادريسي، 2017، صفحة 13)

فموضوع المرأة داخل مجتمعنا الذي يوصف بالذكورية يعتبرها أرضية خصبة ثمينة لقياس مدى التحولات أو التغيرات التي تحدث داخل مكونات المجتمع الأساسية كالأحياء الجامعية والفضاء الجامعي بشكل عام، فهما مجالات لحراك وديناميةمستحدثة.

List of references :

- Idrissi, M. (2017). Gender transformations in contemporary Morocco Women as a model. Believers Without Borders Journal for Studies and Research.
- Idrissi, M. (2017). Gender transformations in contemporary Morocco Women as a model. Believers Without Borders Journal for Studies and Research.
- Sibai, Kh. (2011). The female body and gender identity. Beirut: Jadawel for publishing and distribution.
- Al-Ghamami, A. A. (1996). Women and language. Morocco: Arab Cultural Center.
- Al-Ghamami, A. A. (1996). Women and language. Morocco: Arab Cultural Center.
- Kurdistani, M. A. (2004). Women's liberation movements from equality to gender: an Islamic critical study. Cairo: Dar Al-Qalam for Publishing and Distribution.
- Butler, J, The Problem of Gender . Library of Enlightenment.
- Beydoun, A. S. (2002). Lebanese women and associations between self-fairness and service to others. Beirut: Dar An-Nahar Publishing.
- Beydoun, A. S. (2007). Masculinity and the change of women's conditions (a field study). Morocco: Arab Cultural Center
- Bennett, I. (2010). New idiomatic keys Glossary of terms of culture and society. Lebanon.
- Housau, A. M. (2008). Gender social and cultural dimensions. Jordan: Dar Al-Shorouk.
- Dossarto, M. (2011). Innovation of daily life Practical performing arts. Rabat: Dar Al-Aman.
- Shahbar, K. (2018). A socio-anthropological debate about the contribution of women to the reproduction of male domination. Omran Magazine, Volume 6, Issue 23
- Lubroughton, D. (1997). Anthropology of the body and modernity. Beirut: Majd University Foundation for Studies, Publishing and Distribution.

- Mokhtar, M. (2013). A contribution to the standardization of the logic of cohabitation, an anthropological approach to university neighborhoods as a model. PhD thesis, Faculty of Social Sciences, Algeria.
- Mansour, N. (2020, 07 06). Language and sexuality. Récupéré sur Republic
- Meneged, Y. L. (2015). The reality of social integration for first-year university students (a case study of the Department of Social Sciences at the University of Jijel). Journal of Humanities, Fourth Issue
- Michela, M. (2011). Philosophy of the body. Beirut: Majd University Foundation for Studies, Publishing and Distribution.
- Migri, A. (2018). Sociology of communication and media. Kingdom of Bahrain: Bahrain Authority for Culture and Antiquities.

قائمة المراجع باللغة العربية :

- الادريسي, م .(2017) .التحولات الجنسانية في المغرب المعاصر النساء أنموذجا .مجلة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث.
- الحيدر, ا .(2003) .النظام الأبوي واشكالية الجنس عند العرب . بيروت : دار الساقي.
- السباعي, خ .(2011) .الجسد الأنثوي وهوية الجندر . بيروت : جداول للنشر والتوزيع.
- الغذامي, ع. ا .(1996) .المرأة واللغة . المغرب : المركز الثقافي العربي.
- الغذامي, ع. ا .(s.d.) .عبد الله الغذامي يكتب: المرأة والعدالة اللغوية Consulté le 12 21, 2020, sur . صحيفة الاتحاد.
- الكردستاني, م. أ .(2004) .حركات تحرير المرأة من المساواة إلى الجندر دراسة نقدية إسلامية . القاهرة : دار القلم للنشر والتوزيع.
- بتلر, ج، مشكلة الجندر . مكتبة التنوير.
- بيضون, ع. ش .(2002) .نساء وجمعيات لبنانيات بين انصاف الذات وخدمة الغير .بيروت: دار النهار للنشر.
- بيضون, ع. ش .(2007) .الرجولة وتغير أحوال النساء (دراسة ميدانية) .المغرب: المركز الثقافي العربي.
- بينيت, ط .(2010) .مفاتيح اصطلاحية جديدة معجم مصطلحات الثقافة والمجتمع .لبنان.
- حوسو, ع. م .(2008) .الجندر الأبعاد الاجتماعية والثقافية .الأردن: دار الشروق.
- دوسارتو, م .(2011) .ابتكار الحياة اليومية فنون الأداء العملي . الرباط : دار الأمان.
- شهبار, خ .(2018) .سجال سوسيو أنثروبولوجي حول مساهمة النساء في إعادة إنتاج السيطرة الذكورية . مجلة عمران ,المجلد6، العدد23

- لوبروتون, د .(1997) .أنثروبولوجيا الجسد والحداثة .بيروت: مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.
-مختار, م .(2013) .مساهمة في معيرة منطق التساكن مقاربة أنثروبولوجية الأحياء الجامعية نموذجا . أطروحة دكتوراه, كلية العلوم الاجتماعية, الجزائر.
- منصور, ن .(06 07 ,2020) .اللغة والجنسانية Récupéré sur .الجمهورية.
- منيغد, ي. ل .(2015) .واقع الاندماج الاجتماعي لطلبة السنة الأولى جامعي (دراسة حالة قسم العلوم الاجتماعية بجامعة جيجل) .مجلة العلوم الإنسانية، العدد الرابع
- ميشيلا, م .(2011) .فلسفة الجسد .بيروت: مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.
- ميغري, ا .(2018) .سوسيولوجيا الاتصال والميديا . مملكة البحرين : هيئة البحرين للثقافة والآثار.

قائمة المراجع باللغة الفرنسية :

- Felonneau, m.-l. (1994). les étudiants et leurs territoires la cartographie cognitive comme instrument de mesure de l'appropriation spatiale. revue francais de sociologie

Jean Rémy, l. v. (1981). ville ordre et violence formes spatiales et transactions sociales. paris